

تفسير السعدي

@ 421 @ استشهادهم ، لعدم خبرتهم ومعرفتهم . وإِ أعلم . تم تفسير سورة الرعد ،
والحمد لله رب العالمين . سورة إبراهيم ^ (الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من
الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد *) الذي له ما في السماوات وما
في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد * الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد) ^ يخبر تعالى ، أنه أنزل كتابه على
رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، لنفع الخلق ، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق
السيئة ، وأنواع المعاصي ، إلى نور العلم والإيمان ، والأخلاق الحسنة ، وقوله : ! 2 ! 2
أي : لا يحصل منهم المراد المحبوب ، إلا بإرادة من الله ومعونة ، ففيه حث للعباد على
الاستعانة بربهم . ثم فسر النور الذي يهديهم إليه هذا الكتاب ، فقال : ! 2 ! 2 أي :
الموصل إليه وإلى دار كرامته ، المشتمل على العلم بالحق والعمل به ، وفي ذكر ! 2 ! 2
بعد ذكر الصراط الموصل إليه ، إشارة إلى أن من سلكه ، فهو عزيز بعزة الله ، قوي ، ولو لم
يكن له أنصار إلا الله ، محمود في أموره ، حسن العاقبة . وليدل ذلك على أن صراط الله ، من
أكبر الأدلة على ما الله ، من صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، وأن الذي نصبه لعباده ، عزيز
السلطان ، حميد ، في أقواله ، وأفعاله ، وأحكامه ، وأنه مألوه معبود بالعبادات ، التي
هي منازل الصراط المستقيم ، وأنه كما أن له ملك السموات والأرض ، خلقاً ورزقاً ، وتديراً
، فله الحكم على عباده بأحكامه الدينية ، لأنهم ملكه ، ولا يليق به أن يتركهم سدى ، فلما
بين الدليل والبرهان ، توعدهم من لم ينقد لذلك فقال : ! 2 ! 2 لا يقدر قدره ، ولا يوصف
أمره ثم وصفهم بأنهم . ! 2 ! 2 ! 2 فرضوا بها ، واطمأنوا ، وغفلوا عن الدار الآخرة . !
! 2 ! 2 ! 2 الناس ! 2 ! 2 التي نصبها لعباده ، وبينها في كتبه ، وعلى ألسنة رسله ، فهؤلاء
قد نابذوا مولاها بالمعاداة والمحاربة ، ! 2 ! 2 أي : سبيل الله ! 2 ! 2 أي : يحرصون
على تهجينها وتقبيحها ، للتنفير منها ، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون
! 2 . ! 2 ! 2 الذين ذكر وصفهم ! 2 ! 2 ! 2 لأنهم ضلوا ، وأضلوا وشاقوا الله ورسوله ، وحاربوه
. فأبى الله أن يمد لهم نوره ، وأما أهل الإيمان ، فعكس هؤلاء ، يؤمنون بالله وآياته ،
ويستحبون الآخرة على الدنيا ، ويدعون إلى سبيل الله ويحسنونها ، مهما أمكنهم ، ويبغون
استقامتها . ! 2 ! 2 ! 2 وهذا من لطفه بعباده ، أنه ما أرسل رسولا ، ! 2 ! 2 ! 2 ما يحتاجون
إليه ، ويتمكنون من تعلم ما أتى به ، بخلاف ما لو أتى على غير لسانهم ، فإنهم يحتاجون
إلى تلك اللغة ، التي يتكلم بها ، ثم يفهمون عنه ، فإذا بين الرسول ما أمروا به ،

ونها عنه ، وقامت عليهم حجة ا ! 2 2 ! ، ممن لم ينقد للهدى ، ويهدي من يشاء ، ممن
اختصه برحمته . ! 2 2 ! ، الذي من عزته أنه انفرد بالهداية والإضلال ، وتقليب القلوب
إلى ما شاء ومن حكمته أنه لا يضع هدايته ولا إضلاله ، إلا بالمحل اللائق به . ويستدل بهذه
الآية الكريمة ، على أن علوم العربية الموصلة إلى تبين كلامه وكلام رسوله ، أمور مطلوبة
، محبوبة ، لأنه لا يتم معرفة ما أنزل على رسوله إلا بها . إلا إذا كان الناس في حالة ،
لا يحتاجون إليها ، وذلك إذا تمرنوا على العربية ، ونشأ عليها صغيروهم ، وصارت طبيعة لهم
، فحينئذ قد اكتفوا المؤنة وصلحوا لأن يتلقوا عن ا وعن رسوله ، ابتداء ، كما تلقى
الصحابة رضي ا عنهم . ! 2 2 ! يخبر تعالى : أنه أرسل موسى بآياته العظيمة ، الدالة
على صدق ما جاء به وصحته ، وأمره بما أمر ا به رسوله محمد صلى ا عليه وسلم ، بل وبما
أمر به جميع الرسل قومهم ، ! 2 2 ! أي : ظلمات الجهل والكفر وفروعه ، إلى نور العلم
والإيمان وتوابعه ، ^ (وذكرهم